قراءة بنائية في المثل الشعبي

Structural reading in popular ideals

د. حمزة قريرة

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية الآداب واللغات، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب

hamza.grira@gmail.com

تاريخ الأرسال	تاريخ القبول	تاريخ النشر
2020/08/07	2020/12/10	2021/01/06

Abstract :
The study attempts to track the linguistic construction of the popular ideals through different levels of sound, composition and indication. It aims to reveal the mechanisms of its construction, how it is transmitted and transformed through oral transmission. And a number of linguistic procedural tools will be used to detect the composition of the ideals and the effect of this on the significance, and will try to link some of the sound phenomena in the ideals to the linguistic nature of the region.
Keywords: Proverb- Popular - Installation - Phoneme - Morpheme – Section .

Abstrait:
L' étude tente de retracer la structure linguistique du proverbe populaire à travers les différents niveaux phonemiques,compositionnels et sémantiques afin de découvrir les mécanismes de sa construction, et comment il est transmis et transformé par transmission orale.
Cette étude mettera en fonction un nombre d'outils et procédures linguistiques ayant pour objectif de detecter la structure du proverbe et son effet sur la nature linguistigue de la région.

Mots-clés : proverbe - populaire -stucture - phonème - morpheme- syllabe.

الملخص:

تحاول الدراسة تتبّع البناء اللغوي للمثل الشعبي عبر مختلف المستويات الصوتية والتركيبية والدلالة، وذلك من أجل الكشف عن آليات بنائه، وكيفية انتقاله وتحوّله عبر الانتقال الشفهي، وستوظّف الدراسة عددا من الأدوات الإجرائية اللسانية من أجل الكشف عن تركيب المثل وأثر ذلك على الدلالة، كما ستحاول ربط بعض الظواهر الصوتية في المثل بالطبيعة اللسانية للمنطقة.

الكلمات المفتاحية: مثل – شعبي – تركيب – فونيم– مورفيم– مقطع

1- المثل المفهوم والخصائص:

يعد المثل من أهم الأجناس الأدبية الشعبية ارتباطا بالتجارب الحياتية التي عاشها وعايشها الإنسان، فهي تعبير دقيق عن عصارة ما مر به من مواقف عبر مسار حياته، ومما ينقله الميداني حول مفاهيمه يقول: "قال المبرد: المثَلُ مأخوذ من المِثال، وهو: قولٌ سائرٌ يُشَبَّه به حالُ الثاني بالأول، والأصل فيه التَّشْبِيه، فقولُهم "مَثَّلَ بَيْنَ يَدَيه" إذا انتصب معناه أَشْبَهَ الصورةَ المنتصِبة، و "فلان أَمْثَلُ من فلان" أي أَشْبَهُ بما لَه (من) الفضل. والمِثالُ القِصاصُ لتشبيه حالِ المقتَصِّ منه بحال الأول، فحقيقة المَثَلِ ما جُعل كالعلم للتشبيه بحال الأوَّل..."[1] يظهر أن المثل ينطلق من حيث المفهوم من كونه قول لغوي وهي أولى خصائصه البنائية، حيث يتميّز ببناء خاص، ثم يختص أكثر بكونه سائر عبر الزمن وقوام مفهومه الشبه فهو يشبه حال ما يضرب فيه (الثاني) بحال ما جاء منه (الأول)، لهذا كان للمثل مورد ومضرب فهو "القول السائر المشبه مضربة بمورده"[2]، كما يقول الحسن اليوسي في زهرة الأكم في الأمثال والحكم. ويمكن إجمال أهم خصائص المثل كما أوردها الميداني في قوله: " قال إبراهيم النظام: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، وإصابة المعنى، وحُسْن التشبيه، وجَوْدة الكناية، فهو نهاية البلاغة."[3]، من خلال هذه الخصائص تبرز أهم المقوّمات البنائية للمثل خصوصا ما اعتمد على الإيجاز في العبارة "فالأمثال هي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأي وصدق الاختبار"[4] ومن جهة أخرى يعد الإيجاز في المثل خاصة مهمة تعمل على اشباع المعنى[5] مما يجعله أكثر تأثيرا على حياة الإنسان وتوجيها لسلوكه في مختلف المواقف، "فتعد الأمثال من الأشكال الأدبية التي تعبّر عن الواقع بشكل يقترب من الصدق، لأنها تعد نتاج فكر وأحداث وتجارب للحياة اليومية"[6]، وعبر تاريخ الأدب ظلت الأمثال حاملة لتجارب العربي وخبراته في المواقف المختلفة، فجاءت عباراتها الموجزة لتلخص كل ذلك وتقدّمه في مضرب جديد مشابه للتجربة والمورد الأول.

عبر تطوّر الحركة اللغوية العربية وظهور تجليات أدبية شعبية كان للمثل الحضور القوي حيث استمد أصالته من المثل العربي بكل خصائصه وقدّم مبناه الجديد بخصائص صوتية تتناسب مع التطور اللهجي للفصحى، فظهر المثل الشعبي الذي "يعد من أهم فنون التعبير الشائعة بين الناس، والمتناقلة بين أفراد المجتمع في العصر الواحد، وعبر العصور المتعاقبة."[7] ومن الناحية البنائية نجد "الأمثال الشعبية عبارة عن جمل قصيرة بليغة المعنى، سلسة اللفظ قوية السبك جميلة البيان، تجمع بين جمال التعبير ودقة التصوير، وتختصر المعنى الطويل بمفردات موجزة قليلة تحفظها الذاكرة ويعيدها الوجدان"[8]، فهي بخصائصها لا تختلف عن المثل في الفصحى إلا من ناحية البناء الصوتي أو بعض التراكيب اللغوية المستحدثة. أما من حيث الموضوعات والجوهر فلا نعثر على أي اختلاف. كما أن "للمثل –الشعبي–مورد ومضرب: يُقصد بالأول الموقف الذي صدر عنه أول مرة قيل فيها، وبالثاني السياق الذي أعيد إنتاجه من خلاله"[9]، وهنا يلتقي أكثر بالمثل في الفصحى ويأخذ منه أهم خصائصه المتعلقة بمورده ومضربه.

من خلال هذه الدراسة سأحاول تتبّع أهم الخصائص البنائية للمثل الشعبي من خلال عيّنة شفهية محددة من منطقة وادي سوف، وهو مثل يُقال في وصف حال نمطين من الناس الأول كثير الزيارات إلى الغير حيث يتسبب له ذلك في أن يُبغض ويُكره من طرف من يزورهم وإن كان وجهه كالمرآة نصاعة كناية على الحسن والجمال. أما النمط الثاني فهو من لم تكن له عزوة يتكئ عليها فإنه يُهان ويُهمّش وإن كان جهبذا ودماغه غزير العلم. ونص المثل:

اكْثِيرْ لَقْدَامْ بِنْعَافْ ** لُو كَانْ وَجْهَهْ امْرَايَا

وَقْلِيلْ لَكْتَافْ بِنْهَانْ** لُو كَانْ مُخَّهْ شِظَايَا.

والمثل تم اعتماده بهذه الصيغة التي وصلتني شفهيا، وأصل المثل لعبد الرحمن المجذوب* وهو بصيغة:

خْفِيفْ الْقدام ينْمل** ولو كان وجهه مْراية

قْليل الأكتاف يتذلْ **لو كان جيدو عناية[10]

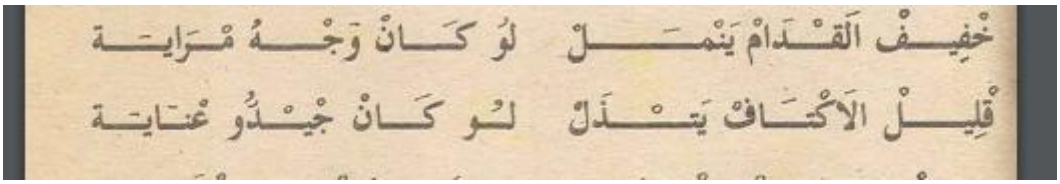

2- نصية المثل الشعبي:

النص في اللغة من "نَصَصَ: النص، رفْعك الشيء، نص الحديث ينصّه نصًا، رفعه. وكل ما أُظهِر فقد نصّ"[11]، وعليه فالنص مرافق للظهور والبروز والتميّز حيث يأخذ خصائصه التمييزية من تقطيعه الصوتي المختلف فهو:".. المجموعة الواحدة من الملفوظات؛ أي الجمل المنفَذة، حين تكون خاضعة للتحليل، تسمّى: نصاً، فالنص عيّنة من السلوك الألسني؛ وإنّ هذه العينة يمكن أن تكون مكتوبة، أو محكية..."[12]. وليس بعيدا عن المفهوم المعجمي واللغوي للنص نجده يأخذ مفهومه الاصطلاحي ويرتبط بالملفوظ وخصائصه المميزة، ولعل مفهوم الألسني لويس يلمسليف L– hjelmslev أكثر المفاهيم رحابة للنص فقد "أعطاه معنى واسعا جداً"[13]، حيث أطلقه على أي ملفوظ؛ أي "كلّ كلام منفّذ قديماً كان أو حديثاً، مكتوباً أو محكياً، طويلاً أو قصيراً".[14] من خلال هذا المفهوم يدخل المثل الشعبي في إطاره النصي حيث يأخذ خصائص النص الملفوظ ويظهر وفق بنائية خاصة يمكن من خلالها قراءته وتحديد آليات بنائه وفق مستويات مختلفة، لكن قبل تتبّع ذلك تجدر الإشارة إلى أن هناك صعوبة في حصر نصية المثل في الأدب الشعبي، وتتبع هذه الصعوبة من طبيعة النص الشفهية، وتقودنا هذه المعضلات في تحديد النص إلى إشكالات ضبط مفهومه بدقة أكبر، فنص المثل في الأدب الشعبي هو وحدة كلامية – لسانية – قصيرة وموجهة، أي عبارة عن رسالة، ذات طابع جمالي، وتحمل موضوعا معينا، تتمتع بخصائص تختلف عن الكلام العادي، كما يمتاز المثل من جهة أخرى بجماعيته وشفاهيته ومرونته، فهو نص هش قابل للتمدد والتقلص لكونه ملك للثقافة الجماعية، كذلك قد يكون معروف المرسل – المؤلف – أو مجهوله، أما انتقاله فيكون عبر توالي الأجيال، وهو انتقال رأسي– زماني– كما يمكنه الانتقال أفقيا أي مكانيا، عبر الحيز المكاني، من منطقة إلى أخرى، ويصيبه عبر الانتقال بالشكلين التحريف والتغير الجذري في بعض الأحيان، حيث يصيبه التغيّر في بنيته الصوتية أو الصرفية أو التركيبية، وهو ما حدث مع العينة التي نقوم بدراستها. وهنا مكمن الصعوبة حيث سترصد الدراسة حالة المثل اللحظية والآنية التي رُصد فيها بذاك الشكل البنائي الخاص ويعامل على ذاك الأساس وحده.

انطلاقا من البناء اللغوي لنص المثل الشعبي نجده يتمتع بخصائص متميّزة خصوصا على المستوى الصوتي، وسنحاول تتبع هذه الخصائص من أجل إبراز آليات بنائه.

3- قراءة بنائية في المثل:

اكْثِيرْ لَقْدَامْ بِنْعَافْ ** لُو كَانْ وَجْهَهْ امْرَايَا

وَقْلِيلْ لَكْتَافْ بِنْهَانْ** لُو كَانْ مُخَّهْ شِظَايَا.

الأمثال عبر حصرها في بيئة معيّنة تبدو كسلسلة من العناصر الدالة التي تنتمي لنسق خصوصي، حيث يتميز بالانغلاق النسبي من أجل الحفاظ على حالته الشكلية[15]، وهو ما حدث بشكل معين للمثل قيد الدراسة فقد حافظ على أهم خصائصه الصوتية والتركيبية رغم ما طرأ عليه من تحوّلات طفيفة تخص المنطقة التي استقر بها واللهجة التي تداولته، وقد اعتمدت على هذه الرواية لكونها شفهية وتمثّل أحد وجوه المثل في التجسّد الفعلي. وسندرس مختلف المستويات اللسانية المشكّلة للمثل انطلاقا بالمستوى الصوتي وصولا للمستوى الدلالي مرورا بالتركيب.

3-1-المستوى الصوتي: سنقوم في هذا المستوى بتقطيع المثل تقطيعا مزدوجا حسب طريقة أندريه مارتينيه[16] في التقطيع، ونبدأ بالمستوى الفونيمي، ثم المورفيمي كما سنشير في الدراسة إلى المستوى المقطعي وفوق المقطعي الذي يمكن ملاحظة تأثيره على بنية المثل.

- المستوى الفونيمي:

بعد رصد الفونيمات داخل نص المثل، قمنا بإحصائها فوجدنا عددها 54 فونيما منطوقا فعليا وله علاقة بالتركيب، منها 14 حركة، وهي حروف المد، و40 صامتا، وعددها حسب الجدول الآتي:

ك	ث	ي مد	ر	ل	ق	د	ا مد	م	ي
04	01	04	02	06	02	01	08	03	02

ن	ع	ف	و مد	و	ج	هـ	ت	خ	ش	ظ
05	01	02	02	02	01	04	01	01	01	01

أما صفات الفونيمات من حيث الازدواج والتضاد فقد حددناها في الجدول الآتي مع نسبها:

صفات الأصوات التي لها ضد وهي متعاقبة حسب ضدها.	عددها في المثل	نسبتها إلى جميع الفونيمات
1- الأصوات المجهورة: أ،ب،ج،ظ.....	38	%70.37
2- الأصوات المهموسة: حثه شخص فسكت+ق+ط	16	%29.62
1- الأصوات الشديدة: أجدت طبقك +ض	09	%16.66
2-الأصوات الرخوة، الاحتكاكية: وهي غير الشديدة	45	%83.33
1- الأصوات المستعلية: خص ضغط قظ	04	%07.40
2-الأصوات المستفلة= بقية الأصوات- المستعلية	50	%92.6
1- الأصوات المطبقة: ص ض ط ظ	01	%1.86
2- الأصوات المنفتحة: بقية الأصوات عدا المطبقة.	53	%98.14
1- أصوات الذلاقة: مر بنفل	18	%33.33
2- الأصوات المصمتة: بقية الأصوات عدا الذلاقة	36	%66.66

التعليق:

من خلال الجدول نلاحظ سيطرة بعض الفونيمات أكثر من غيرها على نص المثل، كما يظهر الاختلاف في صفات الأصوات المسيطرة وهو ما يؤثر بشكل مباشر على بنية المثل ومساره الدلالي . والدلالة في هذا الموضع داخلية . فكثرة الأصوات المجهورة وبلوغها أكثر من 70% وانحسار المهموسة يحمل دلالة على جهرية المثل وقوته في التأثير، فموضوعه يحتاج إلى مثل تلك القوة في الأصوات، فهو يرصد ظاهرة مهمة ويريد الجهر بها للتأثير على المتلقين، حيث يحثهم على تجنب أن يكونوا كالمثالين المقدّمين، فلا يكثروا الزيارات والتردد على الآخرين، ومن جهة أخرى عليهم أن يتخذوا عزوة يحتمون بها في ظل المجتمع الذي يعيشون فيه كي يحافظوا على سلامتهم، وكل هذه النصائح تحتاج الجهر بها لتصل بشكل أقوى. أما الرخاوة . الاحتكاك . وغلبتها على البنية الصوتية للمثل، فراجع بداية لطبيعة المنطقة التي قيل فيها المثل بهذا الشكل، وهي منطقة وادي سوف، فأهلها يكثرون من الإمالة، وتخفيف الأصوات وهذا يدعوهم لتجنب الأصوات الشديدة الانفجارية لتعارضها مع قواعد لسانهم واصطلاحهم في الكلام، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالرخاوة صفة تضم عددا كبيرا من الأصوات العربية، وكثرتها في المثل طبيعية لحد ما، كذلك طبيعة المثل الملامسة والمحتكة بالجماهير وكشفه لظاهرتين خطيرتين في مجتمعنا، دعته لاستخدام أصوات احتكاكية، فالصوت يعكس التوجه النفسي لقائل

المثل أو مردده أي قارئه، وقارئ المثل دوما محتك وملاصق للمشكل المعالج. أما الاستعلاء والاستفال فهما صفتان تستحقان عناية خاصة في هذا المثل، لكونهما مختلفتا النسب بشكل كبير ومثلهما مثل الأصوات المطبقة والمنفتحة . لأن الأخيرين ناتجين عن حالات خاصة من الاستعلاء والاستيفال . فالمستعلية نسبتها 7.4% وهي نسبة ضعيفة جدا مقارنة بالمستفلة التي زادت عن 90% وأكثر من ذلك نجده بين المطبقة والمنفتحة، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على طبيعة القوانين الصوتية للمنطقة التي أنتجت المثل أو ردّدته، حيث يتحاشون استخدام الفونيمات المستعلية والمطبقة، هذا من جهة ومن جهة أخرى طبيعة المثل التي تدعوا إلى تبسيطه وسلاسة فونيماته ليسهل تنقله من جيل إلى آخر وهذا توفره صفتي الاستفال والانفتاح دون غيرهما.

أما بالنسبة للصفات الأحادية التي يمكن ملاحظتها على فونيمات المثل، فهي بسيطة وعامة، فالتفشي الموجود في الشين وهي مكررة مرة واحدة في المثل، ويتقاطع مع ما قررناه سابقا أن طبيعة المنطقة والمثل تدعوا للابتعاد عن الأصوات ذات الحدة، أما صفة التكرار التي نلاحظها على الراء فهي عامة في كلام المنطقة حيث يكثر استخدام هذا الفونيم مثله مثل اللام والنون ذا صفة الغنة، كما نلاحظ صفة القلقلة على القاف الساكنة، وهي صفة قوية جاءت في مورفينات لها موقعها الاستراتيجي المثل– لقدام، قليل– إضافة إلى هذا نلاحظ أن هناك تمازج فونيمي كبير وتعدد للصفات الثنائية أو الأحادية رغم صغر مساحة النص وهذا له دلالة قوية على التكثيف الذي يمتاز به المثل الشعبي.

– نظام المقاطع داخل المثل: بعد تقطيع المثل إلى مقاطع حسب العربية الفصحى نجدها تتموضع بالشكل الآتي:

اكْثِيرْ لَقْدَامْ بِنْعَافْ لُو كَانْ وَجْهَهْ امْرَايَا... وَقْلِيلْ لَكْتَافْ بِنْهَانْ لُو كَانْ مُخَّهْ شِظَايَا.

(4–1)، (4–3)، (4–3)، (4–2)، (3–3)، (3–2–2)، (4–3)، (4–3)، (4–3)، (4–3)، (4–2)، (3–3)، (2–2–1).[17]

وهذا تذكير بالنظام المقطعي في العربية[18]:

المقطع الأول = صامت + صائت قصير. ونرمز له بالرمز 1.

المقطع الثاني = صامت + صائت طويل. ورمزه2.

المقطع الثالث = صامت + صائت قصير + صامت. ورمزه3.

المقطع الرابع = صامت +صائت طويل + صامت. ورمزه4.

المقطع الخامس = صامت + صائت قصير + صامت + صامت. ورمزه 5.

وبعد تطبيقها على نص المثل نجده يتشكل من عدد منها كما رأينا، حيث غلب بعضها على بعض فنلاحظ عددها كالآتي:

المقطع	الأول 1	الثاني2	الثالث3	الرابع4
عدد وروده في المثل.	مرتين	ست مرات	عشر مرات	ثماني مرات

نلاحظ أن عدد بعض المقاطع أكثر بكثير من الآخر فالمقطع الثالث يأتي في المرتبة الأولى يليه الرابع ثم الثاني فالأول، ويلاحظ غياب المقطع الخامس، وفي ذلك دلالة مهمة حول استخدام بعض المقاطع دون أخرى، بداية من طبيعة الاستخدام الصوتي لأهل المنطقة الذين يؤثرون نوع من المقاطع على أخرى، كذلك ما تفرضه طبيعة المثل من استخدام معين للنظام المقطعي، فالمقطع الرابع مثلا أخذ نسبة كبيرة من بين المقاطع . رغم ندرة استخدامه في الفصحى . كان نتيجة للتسكين الذي تمتاز به اللهجات بعامة ونصوص الأمثال بخاصة، فهو يساعد على جعل المثل أكثر مرونة وموسيقية، كما يسهل عملية التسجيع مما يولّد موسيقى خاصة التي تساعد بدورها على حفظ المثل وانتقاله، فيكتفي القائل بتسكين نهايات الفواصل حتى يأخذ المثل تسجيعه المناسب وإن كان فونيميْ الفاصلتين مختلفين، فقط يشترط فيهما الاقتراب المخرجي والتسكين حتى يتساوى موسيقيا.

كما يمكن تفسير كثرة استخدام المقطع الثالث الذي يعد أكثر أنواع المقاطع استخداما، لظاهرتي الإمالة والتلتلة، فالأولى معروفة عند أهل المنطقة ومتى أمالوا أسكنوا الحرف الذي يلي الممال وهذا يؤدي لإنتاج المقطع الثالث، أما التلتلة فهي لهجة عربية قديمة جدا عرفت عند قضاعة وبهراء . وهما من القبائل العربية . ويبدو أن أهل المنطقة توارثوها لانتمائهم لتلك القبائل، وتقضي التلتلة كسر أول الاسم والفعل عند النطق به، وفي الغالب تسكين الحرف الذي يليه، وهذا ينتج المقطع الثالث.

بالنسبة للمقطع الثاني فاستخدامه عادة في المد، وقد تفاوت ذلك في المثل تبعا للمورفيم الذي انتمى إليه.

أما المقطع الأول فقلة وروده مردّها لكون هذه اللهجة تتفادى البداية بالصامت والصائت القصير لأن ذلك يحدث وقفا، وبذلك يتقطع المثل موسيقيا، ويصعب حفظه لهذا تبتعد عن استخدام المقطع الأول، إلا في حالات اضطرارية.

نلاحظ مما تقدم أن المقاطع المستخدمة لا تعبر عن الامتداد نحو اللغة العربية الفصحى بقدر ما تعبر عن البعد عنها وتطوير نظامها الصوتي المجسد في المقاطع، حيث بدأت بساكن في بعض مورفيماتها وأتت بهمزة وصل لتتفادى الثقل، وهذا ينافى قواعد الفصحى الصوتية، كذلك أتت بتشكيل مقطعي آخر مختلف عن التشكيل المقطعي للفصحى تمثل في(3-2-2) ويعكس لنا كل هذا التطور اللهجي الذي خالف الفصحى في العديد من القواعد الموسيقية، كما يمكننا أن نستنتج توافق المثل مع القوانين الصوتية للهجة التي كان منها وهذا هو السبب في حفظه وتناقله.

- بعض الظواهر فوق المقطعية:

نلاحظ أن النبر وقع . حسب قوانينه . على المقاطع 1-2-3 دون الرابع لكونه احتل نهاية المورفيم في كل المثل، وبحكم طبيعة النبر القاضية بالتركيز والضغط على مقطع دون آخر، نلاحظ أن بداية المثل يبدأ بنبر قوي تنطلق منه الجملة وفق موسيقى معينة وهي التنغيم . كما سنرى . يضعف فيها نبر المورفيمات الأخرى حتى ينتهي الشطر الأول المستقل دلاليا، ليبدأ الشطر الثاني بداية قوية أخرى وتضعف بعد ذلك قوة النبر حتى تستقر في المورفين الأخير، ودلالة ذلك تكمن في أن قائل المثل يجلب الانتباه في البداية ثم يسرد ما يريد، ولا يكاد يتوقف حتى يضرب نموذجا آخر فيهز الفكر في بدايته عبر نبر قوي ثم يواصل بنفس السلم الموسيقي الذي تلفظ به القسم الأول من المثل.

أما التنغيم أو موسيقى الكلام فنلاحظه يتشكل بشكلين متماثلين في القسم الأول والثاني من المثل(قسمنا المثل على شطرين حسب المعنى لارتباط ذلك بالتنغيم) وهذا للمقابلة الموسيقية بينهما، وهذا التنغيم من النوع النازل الصاعد في كلتا الحالتين، فيبدأ نازلا لأنه يقرر حقيقة في رأيه . كثير لقدام ينعاف . ثم يبدأ في الشرط فيصعد التنغيم، ثم يكرر نفس

السلم التنغيمي في الشطر الثاني من المثل، ولعل البداية بالنزول، ليسحب بها فكر المستمع للتسليم، ثم يصعد بتنغيمه ويبقيه كذلك حتى يحدث أثرا مستمرا في المستمع لا ينتهي بانتهاء مورفيمات المثل.

– مستوى المورفيمات:

من خلال احصاء المورفيمات داخل المثل، نجد عددها ستة عشر مورفيما– مع اعتبار هاء الضمير، أما أنواعها فحسب اعتبارات عدة، فمن حيث نوعها صرفيا فنجد الأسماء تأتي في المرتبة الأولى تليها الأفعال والأدوات، ويمكننا حصر ذلك في الجدول الآتي :

نوع المورفيم صرفيا	وروده في المثل	عدد وروده	نسبته بالنسبة لباقي المورفيمات
الأسماء	كثير–لقدام–وجهه–مرايا–قليل–لكتاف–مخه–شظايا	ثمان مرات	%50
الأفعال	ينعاف– كان –كان –ينهان.	أربع مرات	%25
الأدوات	لو – لو	مرتين	.%12.5
الضمائر	هاء الضمير مرتين	مرتين	%12.5

نلاحظ من خلال هذا التقسيم للمورفيمات غلبة الأسماء عن غيرها وهذا لطبيعة المثل، التي يشترك فيها مع المثل في الأدب الرسمي، فالأسماء في دلالة على الاستمرار والثبات، والاستقلال عن الزمان[19]، وكلها تخدم المثل، فيستلزمها، كما نلاحظ التقابل المورفيمي بين الأسماء في القليل وكثير، شظايا ومرايا، وهي ظاهرة صوتية مهمة اعتبرها البلاغيون القدامى جناسا، وهي مسلطة لإعطاء المثل موسيقى تسمح له بالتأثير والذيوع والحفظ عبر الزمان، أما الأفعال فالصحيح منها . ينعاف، ينهان . جاء في المضارع، وهو زمن في دلالة على الاستمرارية، وهي خاصة تخدم المثل، وتسمح له بالعبور عبر الزمان، والتعبير عن مختلف ما يقع من أحداث مشابهة لمورده، رغم اختلاف الزمان حيث يسمح له استعمال الزمن الحاضر العموم وعدم الحصر في اطار معين والاستمرار، وهي خاصية في المثل فهو مستمر عبر الزمن، أما الفعل الناقص . كان . فقد جاء به مع الأداة "لو" لينشأ أسلوب شرط، وهي لغة معروفة عند أصحاب هذه اللهجة، فالشرط عندهم ينشأ بعدة طرق من بينها جمع لو مع كان.

أما عن أنواع المورفيمات وفقا لاعتبارات علائقية فنجد المورفيمات ذات القوائم المفتوحة، والقابلة للارتباط كالأفعال، والأسماء ونجد مورفيم القوائم المغلقة والذي لا يقبل الزيادة وتجسد ذلك في مورفيم "لو".

وفي آخر كلامنا عن مستوى المورفيمات يمكن تسجيل جملة من الملاحظات انطلاقا من وصفنا لما جاء في هذا المثل:

- غياب أداة التعريف، والاقتصار على اللام، في حالة " ال" القمرية، وعلى همزة الوصل في " ال" الشمسية.
- غياب همزة القطع وذلك تفاديا للانفجار.
- نهاية كل مورفيم بمد أو بوقف.
- في هذا المثل نلاحظ تقارب نسبيا بين التشكيلات المورفيمية الشعبية مع الفصحى.

3-2- المستوى التركيبي:

سنتتبع فيه جانبي من الدراسة، أولهما، الجانب التركيبي النحوي، والثاني البلاغي:

1- التركيب نحويا: وستتم دراسته وفق ثلاث مستويات:

أ- نوعية الجمل: نلاحظ على نص المثل غلبة الجملة الاسمية، في كلا شطريه، أما الفعلية فكانت تابعة لا أكثر، وتفسير ذلك يرجع لسببين؛ أولهما طبيعة المثل التي تفرض عليه الجمل الاسمية لكونها تضمن له الاستمرارية والثبات، ، "فالجملة الاسمية هي التي يدل فيها المسند على الدوام والثبوت، أو التي يتصف فيها المسند إليه بالمسند اتصافا ثابتا غير متجدد"[20]،كما أنه يخاطب عموم الناس ويطرح مشكلات ثابتة مهما تغير الزمان، فيحتاج للجمل الاسمية، أما السبب الثاني فيعود للنظام التركيبي الذي يفضله أهل المنطقة فهم يبتدئون عادة بالاسم، ولو كانوا يريدون الفعل.

ب-العلاقات الإسنادية: نلاحظ أن العلاقات المميزة لنص المثل كانت علاقة المبتدأ بخبره، فالمبتدأ صفة نائبة عن موصوف في كلا شطري المثل " كثير- قليل " وفي الأصل " الرجل الكثير - الرجل القليل" ولكن حذف الموصوف لدلالة الصفة عليه، وهي ظاهرة معروفة في النظام التركيبي في المنطقة، كذلك حذف الموصوف مفاده الاختصار وهو من متطلبات المثل، وقد ارتبط المبتدأ اسناديا بخبر جملة فعلية في كلا الشطرين، وقد كانت الجملة الفعلية في موضع الحركة بعد الإقرار.

ج- بعض الأبواب النحوية: من خلال العناصر التركيبية الموجودة في نص المثل يمكن ملاحظة بعض الأبواب النحوية، واستنتاج بعض التحولات من الفصحى إلى العامية، فأول ما يمكن رصده غياب الحركة الإعرابية رغم بقاء الوظيفة، كذلك غياب الفاعل واستتاره متى دل عليه دليل، وهذا يعكس مبدأ الاقتصاد اللغوي، فالإنسان بطبعه اللغوي يجنح لأقل قدر ممكن من المورفيمات للتعبير، فالمبتدأ كان صفة نائبة عن موصوف كما رأينا، كذلك نلاحظ دور الفعل الناقص الذي فقد عمله الإعرابي لكنه ظل يحمل وظيفته، وهذا المميز في العامية عن الفصحى، كذلك الشرط وأدواته في العامية مميزة بقدرتها على التحول والتعبير عن عدة معاني حسب الاستخدام وهذا راجع لمرونة اللهجة، مقارنة بالفصحى.

2- التركيب بلاغيا: نلاحظ بداية أن المثل يحمل تقابلا نصيا خارجيا فهو مكون من شطرين متساويين في الطول وتعطي هذه المقابلة الشطرية إضافة للنغم الموسيقي قوة على الحفظ الناتج من هذا التقابل الذي يوفر سحرا منبعثا من شكل النص ذاته، وبالدخول في تفاصيله نجد مقابلات على مستويات أخرى، كالطباق والجناس، فنجد هذا الطباق الذي نؤثر أن نسميه مقابلة معنوية في المورفيمين " كثير- قليل" وقد وفّرتْ هذه المقابلة المعنوية جرسا دلاليا داخليا حرّك الفكر صعودا ونزولا، حيث ارتبطت الكثرة بأمر منبوذ وهو البغض ثم نجد أن نقيض الكثرة وهي القلة التي كان يجب أن ترتبط بشيء يعاكس ما ارتبطت به الكثرة، لكننا نجدها ارتبطت بشيء يشابهه في التنفير وهو الاهانة، وعليه فالمقابلة تحرك الفكر أعلى وأسفل مما يعطى معنى المثل قوة تساعده على الذيوع، أما التقابلات الصوتية، والتي رأينا

بعضها في المستوى الصوتي، نجدها في " ينعاف– ينهان" وهما متماثلتين في الحركات رغم اختلاف الفونيمات، ويعطي ذلك ترديد موسيقي يخدم قوة المثل، كذلك تكرار أدوات الشرط " لو كان" وتقابل " مرايا– شظايا" و" وجهه– مخه" يساعد موسيقى المثل ويمكنها من ترسيخه في أذهان الجماهير. أما عن الصورة في المثل فنلاحظ أن المبدع . الذهن الجماعي . لم يوظف التشبيه المباشر لكنه عمد إلى الكناية لروعتها وتأثيرها الكبير على تثبيت المثل في الأذهان لولوع الجماهير بمثل تلك الصور. إضافة إلى هذا فقد عمد المبدع إلى رسم صورته من واقعه وبنماذج محسوسة بسيطة لكنها إيحائية، كالأقدام والمرايا ومخه.. ويعد هذا النوع من الكنايات والاستخدامات المجازية للغة شائعا في لهجة هذه المنطقة.

3-3-المستوى الدلالي:

نتتبع فيه بعض الدلالات الخارجية، وذلك لأننا تعرضنا للدلالة الداخلية ضمنيا في المستويين السابقين، وعليه سنركز على بعض الجوانب الدلالية الخارجية، كالحقول الدلالية، والتطور الدلالي لبعض المورفيمات، وعلاقة تراكيب المثل بالتأثيرات الخارجية، كطبيعة أهل المنطقة، لهذا سنقسم الدراسة في هذا المستوى إلى ثلاثة أقسام :

1- المعنى العام للمثل: يتكوّن المثل المدروس من شطرين، يعبر كل منهما على معنى مستقل ولا يجتمعان إلا في ثنائية التفريط والإفراط، فالكثرة المفرطة في أي شيء مضرة بصاحبها، ولوكان ممتاز الصفاة والقلة والتفريط في طلب القوة مهينة لصاحبها ولو كان على قدر كبير من الذكاء، وعليه فالمثل في شطريه يكشف عن اشكاليتين أو ظاهرتين عامتين في مجتمعنا، أولاهما اكثار الزيارة خصوصا للأهل، وهو أمر غير محبذ ولو كان صاحب الزيارة ممتاز الهيئة والصفات، أما الشطر الثاني فيطرح ظاهرة أخرى لها علاقة بظلم مجتمعنا لمن لا عزوة له (هذه ظاهرة قبلية قديمة)، حيث يهان ولو كان أذكى الأذكياء، ولا يقف المثل بشطريه عند هذه الحدود، بل يتجاوزها فهو يطرح إشكالا عاما كما أسلفنا وهو بين الافراط والتفريط في كل شيء، فالإكثار مخل، وكذا الإقلال، فوظف مثالين لذلك من واقعنا المعاش، وعليه فللمثل مستويين من حيث المعنى العام، أولهما المباشر المرتبط بالمثالين، وهو توجيهي، أما المستوى العميق فهو يتجاوز المثالين ويكشف عن ظاهرة أعمق متعلقة بالزيادة المخلة في الأشياء أو الانقاص المفسد لها، وأن كلا الأمرين سيء ويجب تجنبه، وإن كان الشخص المتصف بهما ذو قدرة وميزات عظيمة.

2- الحقول الدلالية: بعد حصر مورفيمات نص المثل- قمنا بذلك في المستوى الصوتي- نلاحظ أن سطح النص تتقاطع عليه عدة حقول دلالية، أولها حقل الموجودات والمجسد في حقل الأعضاء الجسمية في " لقدام، لكتاف، وجهه، مخه" ، ثم نجد حقل العلاقات والصفات في" كثير، قليل" ثم حقل الصفات المهينة في" ينعاف، ينهان" كما يمكن رصد حقل سنجماتي في " وجه، مرايا" حيث يستدعي النطق بالمرآة التفكير بالوجه. وتتضافر جهود مختلف هذه الحقول لإخراج المثل في أروع صورة ليؤدي الوظيفة المنوطة به على أتم وجه، بحيث يسبح بالذهن في حقول عدة ويجمع عبر التكثيف الدلالي أروع وأقوى المعاني المؤثرة، ليمنح المثل الخلود في الأذهان.

3- التطور الدلالي لبعض المورفيمات: نلاحظ من خلال المقارنة بين المورفيمات في شكلها العامي وشكلها الفصيح أنه قد حدث لها تطور، وبزيادة التدقيق نلمح أن هذا التطور حاصل على محورين محور عمودي من الفصحى إلى العامية وآخر أفقي من العامية إلى نفسها وعليه يمكن دراسة التطور على المحورين:

المحور العمودي: حدث تطور في مختلف فونيمات المثل من الفصحى إلى لهجته التي جاء بها، ونرصد ذلك في "لقدام، لكتاف، وجهه، مرايا، مخه" وقد كان لها دلالات خاصة في الفصحى، لكن بتحولها للعامية من جهة وتوظيفها في المثل

باعتباره نص أدبي شعبي له خصائصه، حملت معاني أخرى مجازية، فدلت الأقدام على كثرة الزيارة، ودلت لكتاف على العزوة والأولياء، كما دلت وجهه على الهيئة التي عليها الشخص، أما مرايا فدلت على الحسن، فالتحوّل الدلالي من الفصحى إلى العامية أعطى ألفاظ المثل بعدا آخر وسمح لها بزيادة المساحة الدلالية للنص رغم صغر مساحته الملفوظية، وهو ما أنتج لنا التكثيف الدلالي.

المحور الأفقي: وهو الذي تحوّلت وتطورت عبره مورفيمات النص من العامية في ذاتها، حسب السياق من جهة وبالتطور الزمني من جهة أخرى، فمورفيم "لقدام" مثلا، يدل دلالة عامة على الأثر وفي سياق المثل دل على كثرة الزيارة وهو تطور دلالي، ونلاحظ ذلك في مختلف مورفيمات النص، بهذا تجسد التطور الدلالي على المستوى الأفقي معطيا المثل بعدا وحيزا مكاني داخل اللهجة، وهذا يزيد من قوته وذيوعه.

خلاصة:

من خلال ما تقدّم يظهر أن المثل الشعبي يمتاز ببنائه الخاص وفق قواعد صوتية وتركيبية ودلالية متفرّدة تجعل منه ظاهرة لغوية فريدة تتطلّب في الكثير من المواضع استحداث مناهج وأدوات لسانية أخرى لدراسته، وذلك لانحرافه عن الفصحى من جهة ولخصوصيته الصوتية وانفتاحه الدلالي من جهة أخرى، لهذا فالمثل الشعبي يفرض على البحث تطوير أدوات أكثر مرونة لدراسته وتحليل بنائه والبحث عن انعكاس تشكيله على المعنى، ومن جهة أخرى رصد آليات تحوّله زمانيا ومكانيا لضبط مدى التغيرات التي تطرأ عليه مع كل تحوّل. وعليه فدراسة المثل بنائيا لازالت في بدايتها وتحتاج المزيد من الجهد خصوصا في المجال اللساني المتعلّق بالمثل وضبطه بدقة حسب طبيعة كل منطقة.

الإحالات

[1] أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (الميداني)، مجمع الأمثال، ج1، المعاونية الثقافية التابعة للأستانة الرضوية المقدّسة، دط، 1344هـ، ص 09.

[2] الحسن اليوسي، زهرة الأكم في الأمثال والحكم، الجزء 01، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الثقافة، المغرب، ط1، 1401هـ، 1981م، ص 20.

[3] أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (الميداني)، مجمع الأمثال، ج1، المعاونية الثقافية التابعة للأستانة الرضوية المقدّسة، دط، 1344هـ، ص 09.

[4] عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، الجزء الأول (الأدب القديم)، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط4، 1981م، ص 89.

[5] ينظر، المفضل بن سلمة الضبي، الفاخر في الأمثال،(المقدّمة) ، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 2011م، ص 09.

[6] المرجع نفسه، ص 10.

[7] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، دط، 2011م، ص 57.

[8] صالح زيادنة، موسوعة الأمثال الشعبية، دار الهدى، فلسطين، ط1، 1435هـ/2014م، ص 07.

[9] عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 59.

[*] أبو محمد عبد الرحمان بن عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان عرف بالمجذوب أو عبد الرحمان المجذوب (مواليد 909 هـ / 1503م – توفي في 1568م)، شاعر وصوفي مغربي. الكثير من قصائده وأمثاله الشعبية متداولة في جميع أنحاء بلاد المغرب العربي. ترك من الأزجال ذخيرة (خصوصا مايعرف بالرباعيات) لا زالت تحتفظ بها الذاكرة الشعبية إلى عصرنا هذا وتتغنى ببعضها الطوائف العيساوية وغيرها من المتصوفة. ينظر ويكيبيديا على الرابط: https://ar.wikipedia.org/wiki/عبد_الرحمان_المجذوب. وموسوعة المعرفة على الرابط: https://www.marefa.org/عبد_الرحمن_المجدوب.

[10] ديوان عبد الرحمن المجذوب، ص15. نسخة pdf من مدونة لسان العرب على الرابط:
https://www.lisanearb.com/2019/12/pdf_644.html?m=1.

[11] ابن منظور، لسان العرب، المجلد السابع – ص، ض، ط، ظ– ، ص 109.

[12] عدنان بن ذريل. النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. من منشورات اتحاد الكتاب العرب.www.awu-dam.com . ص15.

[13] فتحية كحلوش، بلاغة المكان، قراءة في مكانية النص الشعري، ص33.

[14] عدنان بن ذريل. النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق. ص15.

[15] ينظر، عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، ص 62.

[16]ينظر، محمود جاد الرب، علم اللغة نشأته وتطوره، دار المعارف، مصر، ط1، 1985م، ص 129.

[17] نستخدم الأرقام اختصارا لنوع المقطع، فالرقم (1) مثلا يدل على المقطع الأول.

[18] ينظر، أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، ط1، 1416هـ، 1996م، ص 112.

[19] ينظر، المرجع نفسه، ص 159.

[20] مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1406هـ، 1986م، ص 42.